

مُلَخَّص

كان لقيام الدولة الفاطمية في مصر أهمية خاصة في التاريخ؛ فالفاطيون قد حكموا مصر زهاء قرنين من الزمان (٣٥٨ - ٥٦٧ هـ / ٩٦٩ - ١١٧١ م)، وهي فترة تطورت خلالها النظم السياسية والاجتماعية تطوراً خطيراً. فقد كانت الخلافة الفاطمية خلافة مذهبية (شيعية) شعارها الإمامة الدينية، و كان لهذه الصفة المذهبية أثرها في صوغ كثير من النظم والرسوم التي اختصت بها. وقد نشأت الدولة الفاطمية في قفار المغرب، دولة عسكرية ساذجة تظللها الصبغة الدينية، فلما اتسع ملكها وعظم سلطانها بافتتاح مصر والشام، شعرت بالحاجة إلى التوسع في النظم السياسية والإدارية، التي يقوم عليها هذا الملك الباذخ، ولم تكتف بالاعتماد على الخطط العسكرية والدينية والمدنية المعروفة، بل عمدت إلى الابتكار في تنظيم الأصول والخطط الدستورية، وفقاً لحاجاتها وغاياتها السياسية والمذهبية. ويحاول هذا البحث تقديم قراءة تحليلية لمعالم هذه النظم الفاطمية في مصر.

مُقَدِّمَةٌ

إن دراسة معالم النظم الفاطمية في مصر بوجه خاص وفي المشرق العربي على العموم له أهمية بالغة بالنظر إلى العديد من الاعتبارات، أبرزها أنها أول تجربة في تاريخ مصر تنتسب إلى المذهب الشيعي الإسماعيلي، فقد حاولت الدولة الفاطمية أن تقدم بديلاً حضارياً مناهضاً للحضارة السنية في بغداد عاصمة الخلافة العباسية. الاعتبار الثاني أنها تمثل حلقة واصل بين إنجازات الفاطميين خلال المرحلة المغربية وإنجازاتهم خلال المرحلة المشرقية مما أكسب الدولة الفاطمية نمطاً مميزاً. أما الاعتبار الثالث فهو يتمثل في أن آثار الحضارة الفاطمية في مصر وفي القاهرة بالذات هي أكثر الآثار الإسلامية سيادة، ولذلك ينبغي أن تحظى بدراسة خاصة واهتمام بالغ.

يعتبر المؤرخون العهد الفاطمي في المشرق العربي أكثر العهود تطوراً وازدهاراً من الناحية الحضارية. وبما أن الفاطميون انتقلوا من المغرب إلى المشرق في عهد المعز لدين الله فإن حضارتهم بمصر هي استكمال وامتداد لإنجازاتهم في المغرب، إلا أن العهد الفاطمي بالمغرب تغلب عليه الصبغة العسكرية أكثر من الجوانب الحضارية الأخرى، إذ أن الصراع بين الفاطميين والأمويين تسبب في قيام عدة ثورات داخلية ضدهم بتحريض من الأمويين. وكذلك تخوفهم من خطر الروم وحرصهم الشديد على فتح مصر جعلهم يولون اهتماماً كبيراً للجانب العسكري، وكلفهم ذلك أعباء مالية ثقيلة. والجدير بالذكر: "أن الفاطميين بالمغرب رغم أنهم قاموا بتحطيم وتدمير ما خلفته الدويلات التي سبقتهم من إنتاج حضاري ليظهروا بأن حضارتهم هي الباقية في المنطقة، وبكونهم أصحاب الفضل في ذلك، إلا أن المجهودات التي بذلتها الدول السابقة شكلت الأرضية التي انطلق منها الفاطميون".^(١)



قراءة تحليلية في نظم الدولة الفاطمية في مصر

فقيقي محمد الكبير

أستاذ مساعد التاريخ الحديث
قسم التاريخ - جامعة بشار
الجمهورية الجزائرية



الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

فقيقي محمد الكبير، قراءة تحليلية في نظم الدولة الفاطمية في مصر- دورية كان التاريخية- العدد التاسع عشر؛ مارس ٢٠١٣. ص ١٥٣ - ١٦٠.

www.kanhistorique.org

ISSN: 2090 - 0449

كان التاريخية: رقمية المواطن .. عربية الهوية .. عالمية الأذى

نظريتهم وقالوا بأن جعفر الصادق نص فعلاً على الإمامة لابنه إسماعيل، غير أنهم اختلفوا بشأن موته في حياة أبيه، فبعضهم قال بأنه لم يمت وإن أعلن جعفر الصادق ذلك، وكان يقصد من إعلان وفاته التلميح والتلميح على بني العباس حتى لا يتبعوه بسوء، وبعضهم قال بموته في حياة أبيه، ولكن الإمامة استمرت في أبنائه وأحفاده، لأن الأصل عند هذه الفرقة أن الإمامة تنتقل إلى ابن الإمام ولا تنتقل من أخ إلى أخ آخر. وقد تفرعت الفرقة الإسماعيلية إلى عدة فروع، ولها ألقاب أخرى مثل الواقفية والسبعية والباطنية، ولقد استفاد زعماء هذه الفرقة من أخطاء الفرق الأخرى، فأخذوا ينشرون مذهبهم في الأمصار البعيدة عن مركز الخلافة العباسية مثل المغرب ومصر. وقد تساهلوا في أمور الدين واستخدموا مختلف الوسائل لإنجاح دعوتهم، حتى أنهم قالوا بأن لكل ظاهر باطن، ولكل تنزيل تأويل، وتأويل الباطن لا يفهمه إلا الأئمة وكبار دعائهم، وهذا لغرض سياسي كي يؤولوا النصوص تأويلاً يتفق مع أهوائهم ومصالحهم. وعلى هذا الأساس نجحت دعوتهم في المغرب والمشرق وأقامت كياناً لها.^(٧)

وقد استطاع الفاطميون - وهم سادة القرامطة منذ عهد طویل - أن يستغلوا فكرة ظهور المهدي المنتظر بمقدرة وتوفيق لم يتهيأ لهم من بعد، وإن رجوع موجة سلطان العرب نحو المشرق ودخول الخليفة الفاطمي القاهرة ومعه تواييت أجداده لهو اغرب وقائع ذلك العصر المضطرب، فكأنما "قد طلعت الشمس من مغربها"، حقيقة كما قال الخليفة المعز لدين الله في خطاب له.^(٨) وكان القرامطة يطيعون أمرهم، وكانت "بلوستان" تعترف لهم بالسيادة، وأقل مظاهر هذا الاعتراف ما حدثنا به ابن حوقل من أن أهل هذه البلاد يصرحون بأنهم في دعوة الفاطميين وأنهم يجمعون ببلادهم أموالاً وذخائر كبيرة تجلّ عن الوصف، ويقولون أنها للإمام المعز لدين الله.^(٩) على أن الفاطميين كما يذكر المستشرق "آدم متر" لم يأتوا بشيء جديد من الناحية الروحية، وقد فاتهم أن الذي يحدد مدة أجل العروش هو الروح لا كثرة عدد الجنود، فلم تكد تمضي عشرون سنة على بلوغ دعوتهم ذروتها في أيام المعز حتى "تناقص أمر المذهب، وقلّ الدعاة له، حتى أني لا أرى من الكتب المصنفة فيها شيئاً... هذا ما أعلمه في هذه البلاد. وقد يجوز أن يكون الأمر على حاله بناوحي الجبل وخراسان. فأما ببلاد مصر فالأمر مشتبه، وليس يظهر من صاحب الأمر الممتلك على الوضع شيء يدلّ على ما كان يحيي من جهته وجهة آبائه".^(١٠)

ويذكر "متر" أن المذهب الإسماعيلي في القرن الرابع الهجري لا نعرف عنه إلا القليل وأكبر مصدر يرجع تاريخه إلى ذلك العهد، هو ما حفظه لنا النويري والمقرئ وت ترجمه دساي،^(١١) وهو كتاب مطعون في مصدره، لأنه مأخوذ من كتاب في الرد على الإسماعيلية لابن رزام. وقد أوجس صاحب الفهرست خيفة من النقل عن هذا الكتاب^(١٢)... وكذلك يعتبر المقرئ أن هذا الكتاب مزيج بين الحق والباطل، لأن الانتحال في الكتب كان على أشده بين

ومن هنا فإن الحضارة التي ازدهرت في عهد الفاطميين بمصر ساهم التراث المغربي فيها مساهمة فعالة. "من مظاهر ذلك القوة البحرية الفاطمية التي تعود إلى المرحلة المغربية، حيث وصلت إلى درجة كبيرة من القوة والنظام قبل انتقال الفاطميين إلى مصر. وظلوا مهتمين بالأسطول البحري بعد انتقالهم إلى مصر حيث وجدوا في هذه البلاد تقاليد بحرية قائمة ودور للصناعة البحرية".^(١٣) وفي مصر قامت الحضارة الفاطمية على أنقاض الحضارات السابقة مثل الطولونية والإخشيدية، فالحالة المالية والاقتصادية في آخر أيام الدولة الإخشيدية كانت سيئة. "كانت المجاعة والأوبئة واضطراب الأمن قد أفقدت الحكومة كل هيبة واستقرار، ولاسيما أنها عجزت عن دفع رواتب الجند وعن جمع الضرائب وتفاقت الثورات..."^(١٤)

وأدت الحالة الاقتصادية المتدهورة دوراً آخر في تراجع قوة الإخشيديين، فقد شهدت مصر منذ سنة (٣٥٢هـ/٩٦٣م) حالة من الجفاف استمرت تسعة أعوام سببها نقص في فيضان النيل، نتج عنها اختفاء القمح واضطراب الأسعار. "وتزايدت أثمان الحبوب والأقوات، واقترب بذلك وباء عظيم، وهلك الضعيف من الناس وأكلوا الميتة والجيف، وكانوا يسقطون موتى من الجوع، وزاد الوباء وكثر الموت، ولم يلحق دفنهم. وكان يحفر لهم حفراً مفرداً ويرمى فيها عدة كثيرة ويردم عليها التراب".^(١٥) وهكذا؛ فإن الأخطار الخارجية التي واجهتها مصر، والاضطراب السياسي وسوء الحالة الاقتصادية، وانتشار الدعوة الفاطمية، كل ذلك حمل أولى الرأي في البلاد على الكتابة إلى المعز يطلبون منه القدوم إلى مصر لإنقاذها من الفوضى التي دبت فيها منذ أن اختفت شخصية كافور الإخشيد، واستجاب المعز لهذا الطلب.

(١) مذهب الدولة الفاطمية

إن تطور النظم لدى الفاطميين مرتبط من الناحية الروحية بتطور المذهب الشيعي الإسماعيلي، فالفرقة الإسماعيلية هي فرقة شيعية ترتبط بأبناء علي "كرم الله وجهه"، وهي أكثر الفرق الشيعية قوة، حيث استطاعت أن تحقق ما عجزت عنه مختلف الفرق الشيعية الأخرى، وهي تنتسب إلى إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي ابن أبي طالب، حيث يقول أتباعها بإمامته وانتقال الإمامة بعد وفاته في أبنائه وأحفاده، فانتقلت منه إلى ابنه محمد المكنوم، ثم إلى محمد الحبيب، ثم عبيد الله المهدي أول الخلفاء الفاطميين.^(١٦) وقد ظهر كيانها بعد موت جعفر الصادق سنة (١٤٨هـ/٧٦٣م)، حيث انقسمت الشيعة إلى قسمين: قسم قال بإمامة ابنه البكر إسماعيل ولذا سموه بالإسماعيلية، وقسم قال بإمامة ابنه الأصغر موسى الكاظم وهم الموسوية، الذين ادعوا بأن إسماعيل توفي في حياة أبيه فنقل جعفر الصادق الإمامة بعد ذلك لابنه موسى الكاظم.

تذكر بعض الروايات أن جعفر الصادق لم يفضي بالإمامة لإسماعيل لميله إلى السُّكْر،^(١٧) ولكن الإسماعيليون دافعوا عن

أحدًا، وإنما كان تم رجل يلي الوساطة والسفارة، واستقر ذلك في جماعة كبيرة بقيت أيام العزيز وسائر أيام الحاكم بأمر الله، ثم ولي الوزارة أحمد بن علي الجرجاني في أيام الظاهر، وما زال الوزراء من بعده واحدًا بعد واحد،^(٢٠) ولم يكن جمهور الناس يفتن لهذا التمييز بين الوزير والوسيط أو السفير، واشتهر من الوزراء يعقوب ابن كلس الذي كان يلقب بالوزير الأجل، واثبت اسمه على الطراز، وكان عالمًا محبًا للعلماء ومشجعًا لهم، يحضر الفقهاء والفلاسفة للمناظرة بين يديه، ويوزع عليهم المنح والعطايا، كما كان يجمع عنده العلماء، وكان في داره قوم يكتبون القرآن الكريم، وآخرون يكتبون كتب الحديث والفقه والأدب والطب، ويعارضون ويشككون المصاحف وينقطنها. وكان يشرف بنفسه على المجالس التأويلية في كل ليلة جمعة من كل أسبوع، وله مؤلفات عديدة منها: كتاب الفقه- الرسالة الوزيرية- كتاب في آداب الرسول (صلى الله عليه وسلم) وتوفي سنة ٣٨٠هـ، فرائه مائة شاعر وصلى عليه الخليفة العزيز،^(٢١) ويذكر ابن خلدون أن هذا الوزير كان يدبر الأحوال الإخشيدية بمصر... فاستوزره المعز وعظم مقامه عنده، واستوزره ابنه العزيز... إلى أن توفي. ولم تزل الوزارة سائر دولتهم في أرباب الأقاليم، وكان مع الوزارة قاضي القضاة وداعي الدعاة. وسأل أن يرسم اسمه على السكة فغرب ومنع ومات قتيلاً بتنيس، وأبو سعيد النسري، وكان يهوديًا وأسلم قبل وزارته والجرجاني... وأبو الطاهر بن ياشاد... وكان آخرهم الوزير أبو القاسم بن المغربي وكان بعده بدر الجمالي أيام المستنصر ووزير سيف الدولة، واستبد له على الدولة.^(٢٢)

منذ أن تولى بدر الجمالي وزارة مصر سنة ٤٦٨هـ دخلت الدولة الفاطمية مرحلة جديدة عرفت بعهد الوزراء حيث تحولت الوزارة من وزارة تنفيذ إلى وزارة تفويض، بمعنى أن الخليفة فوض إلى الوزير جميع سلطاته المدنية والحربية والتشريعية، فأصبح الوزير بذلك هو الرئيس الفعلي للدولة، بينما بقي الخليفة صورة بجانبه.^(٢٣) إن نظام الوزارة في المرحلة الأولى كان من عوامل قوة الدولة، ثم تحول إلى عامل ضعف بعد تنافس الوزراء على الوزارة واستعانة بعضهم بالعدو الخارجي مما أدى إلى سقوط الدولة.

(٤) الدواوين والإدارة العامة

إن نظام الدواوين في مصر الفاطمية لا يختلف كثيرًا عن مثيله في بغداد العباسية، فمثلاً ديوان الرسائل كان يُعرف في مصر على عهد الفاطميين ديوان الإنشاء،^(٢٤) وكان صاحب هذا الديوان في مصر في أوائل القرن الخامس الهجري يتقاضى في كل شهر ثلاثة آلاف دينار عدا ما كان يكتبه من السجلات والعهود وكتب التقليدات، فقد كان له على ذلك رسوم يستوفها،^(٢٥) إلى جانب دواوين أخرى مثل القضاء والمظالم والحسبة والشرطة... الخ. ولم يترك الخلفاء الفاطميون في بدء حياتهم في مصر فرعًا من فروع الإدارة المدنية والعسكرية دون أن ينتدبوا للأشراف عليه عناصر من بين كتامة أو غيرهم من المغاربة، فكان من بينهم عمال الخراج

جميع هذه الفرق. وأن معظم الكتب المنسوبة لعبدان صاحب حمدان قرمط قد وضعت في القرن الرابع، فيقول ابن النديم أن أكثرها منحوالة إليه.^(٢٦) بينما الشهرستاني يذكر أن بين الإسماعيلية في القرن الرابع الهجري وبين متأخريهم في القرن الخامس الهجري بونًا بعيدًا، وأننا يجب أن نفرق بين اعتقاد الخليفة المعز وبين اعتقاد "شيخ الجبل" تفرقة تامة.^(٢٧)

(٢) الخلافة وولاية العهد

إن مبدأ الإمامة عند الفرق الشيعية بما في ذلك الإسماعيلية مبدأ مقدس يدخل في صميم العقيدة الشيعية، باعتبار أنهم يؤمنون بعصمة الإمام وانتقال الإمامة من الإمام إلى أبنائه، ولم يكن للدعوة الإسماعيلية في المغرب أو المشرق هدف مباشر ونهائي في دار الإسلام، غير إسقاط الخلافة العباسية وإحلال الخلافة العلوية محلها إحياء لمجد العلويين في المشرق وإنصافًا لهم من الغاصبين،^(٢٨) ولذلك كان إجلال الخليفة في مصر الفاطمية أعظم منه في بغداد العباسية، ففي سنة ٣٦٦هـ/ ٩٧٦م قرئ سجل أحد القضاة في الجامع الأزهر "وهو قائم على قدميه، فكلما مر ذكر المعز أو أحد من أهله أومأ بالسجود".^(٢٩) ولما أسند القضاء أيضًا في سنة ٣٩٨هـ/ ١٠٠٨م إلى مالك بن سعيد الفارقي قرئ سجله في القصر، وهو قائم على رجليه، وكان القاضي كلما مر ذكر الحاكم في السجل قبل الأرض.^(٣٠)

إن مبدأ الإسماعيلية في ولاية العهد أن تنتقل الإمامة من الإمام إلى ابنه البكر، إلا أن الخليفة المعز لدين الله عين ابنه الثالث أبا منصور نزار لولاية العهد، على الرغم أنه ليس صاحب الحق في ذلك وفق النظام الإسماعيلي، وكان قد عين ابنه الأوسط عبد الله من قبل وهو ما يزال في إفريقيا^(٣١) متجاوزًا ابنه البكر تميم صاحب الحق الشرعي. فظل عبد الله بعد انتقال المعز إلى مصر وليًا للعهد حتى توفي في حياة أبيه،^(٣٢) وكان على المعز وفقًا للعقيدة الإسماعيلية التي تقضي بعدم انتقال الإمامة من الأخ إلى أخيه أن يعين حفيده ابن عبد الله وليًا للعهد، ويتعين نزار وليًا للعهد يكون المعز قد تجاهل هذه القاعدة الأساسية. أما الخلفاء الذين جاءوا بعده فقد ساروا على المبدأ الإسماعيلي في ولاية العهد، وكان يعلن الخليفة إمام كبار الدعاة الإسماعيليين عن ولي عهده. ونستنتج مما تقدم أن المبادئ السياسية لدى الشيعة تختلف عن السنة من حيث أنها ترتبط مباشرة بالجانب العقائدي، مما جعل الخليفة الشيعي الفاطمي محاطًا بقدسية وإجلال أعظم من الخليفة السني.

(٣) نظام الوزارة

اسم الوزير عند الفاطميين لم يكن مقبولاً في أول الأمر، وكان قاضي القضاة أجل أرباب الوظائف عندهم، ولم يتخذ خلفاؤهم وزراء إلا في عهد الخليفة الثاني العزيز بالله، وهو الوزير ابن كلس الذي كان يهوديًا فأسلم وتوفي سنة ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م، ويقول المقرئ أنه بعد موت ابن كلس لم يستوزر العزيز بالله

فكانت أيامه شريفة، وولي بعده ابن عمه أبو عبد الله الحسين بن علي بن النعمان أيام الحاكم. ثم عزل سنة ٣٩٤هـ وقتل وأُحرق بالنار، وولي مكانه ملكة بن سعيد الفارقي إلى أن قتله الحاكم سنة ٤٠٥هـ بنواحي المقصورة، وكان عالي المنزلة عند الحاكم ومدخلاً له في أمور الدولة، وخالصة له في خلواته وولي بعده أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي العوام، واتصل في آخرين إلى آخر دولتهم، كان كثير ما يجمعون للقاضي المظالم والدعوة، فيكون داعي الدعاة، وربما يفردون كلا منهما، وكان القاضي عندهم يصعد مع الخليفة المنبر مع من يصعده من أهل دولته عندما يخطب الخلفاء في الجمع والأعياد.^(٣٠)

ويتفق ذلك مع ما ذكر المقرئ من أن هناك إلى جانب القضاء النظر في المظالم، وكان الناظر في المظالم ينظر في كل "حكم يعجز عنه القاضي فينظر فيه من هو أقوى منه يدًا"،^(٣١) وكان القضاء والنظر في المظالم يقومان بجانب إلى جنب في جميع البلاد الإسلامية، ولكن اختصاص كل من هذين القضاءين لم يحدد تحديدًا دقيقًا، وكانت المسألة الهامة دائمًا هي: أيهما أقوى سلطان الإسلام الذي يمثلته القاضي أم السلطة الدنيوية؟ وكانت الأمور المتعلقة بالحدود تقدم إلى صاحب المظالم، وكان القاضي أحيانًا ينظر في المظالم، وكان قاضي القضاة بنوع خاص ينظر في المظالم بدار السلطان، وكان الوزير هو الذي يعين أصحاب المظالم في البلاد.^(٣٢) لقد كان قاضي القضاة بالقاهرة يجلس السبت والثلاثاء بزيادة جامع عمرو بن العاص على طراحة ومسند حرير، وكان الشهود يجلسون حواله يمنة ويسرة بحسب تاريخ عدالتهم، وبين يديه خمسة من الحجاب، اثنان بين يديه، واثنان على باب المقصورة، وواحد ينفذ الخصوم إليه، وأمامه كرسي الدواة، وهي دواة محلاة بالفضة تحمل إليه من خزائن القصور.^(٣٣)

وفي عهد الفاطميين كان ربما جمع قضاة الديار المصرية وأنحاء الشام وبلاد المغرب لقاض واحد.^(٣٤) ونجد في العهد الذي كتب لقاضي القضاة محمد بن صالح الهاشمي سنة ٣٦٣هـ/٩٧٤م ما يجعله قاضيًا على المملكة الإسلامية كليًا تقريبًا من البلاد الواقعة غرب جبال فارس ومصر، وكان تحته حكام في البلاد عهد إليه في تصفح أحوالهم واستشراف ما يجري من الأحكام في سائر النواحي.^(٣٥)

(٦) الحسبة والشرطة

يرتبط ديوان الحسبة والشرطة بديوان القضاء والمظالم من حيث ضبط الأمن والاستقرار وحل النزاعات وضمان الخدمات الأساسية للمجتمع. ففي بداية انتقال الفاطميين إلى مصر استخدموا العناصر الكتامية المغاربية في مثل هذه الدواوين لضمان استقرار الأوضاع، "فقد ولي الحسبة في مصر الفاطمية سليمان بن عزة، الذي اشتهر بالشدة مع فئات التجار والصارفة حتى أظهروا عداوتهم للنظام، وهم جوهر بتأديهم وإحراق رحبة الصيارفة لولا خوفه من انتشار اللهب إلى المسجد الجامع،^(٣٦) وبسبب قسوته عزل

والشرطة وولادة بعض الأقاليم والمحاسبون وقضاة المظالم، وبلغ بعضهم خطة الوساطة وهي صورة من صور الوزارة في العصر الفاطمي.^(٣٦)

إن السياسة العامة للإدارة الفاطمية منذ بداية فتح مصر اعتمدت على ما يلي:

- داخليًا: أراد القائد جوهر أن يهدئ نفوس المصريين، فمنحهم أمانًا على أنفسهم وأموالهم وبلادهم وشمل هذا الأمان كافة الفئات من مسلمين ونصارى.
- خارجيًا: وذلك بالتصدي لخطر القرامطة الذين غزوا بلاد الشام أكثر من مرة، ومنعوا الحجاج من أداء فريضة الحج بالإضافة إلى مواجهة البيزنطيين الذين غزوا شمال الشام والعراق.
- دينيًا: أعترف جوهر بالحرية الدينية للمصريين، وبأن يقوم بإصلاح ديني شامل، من بناء المساجد وإصلاحها ومع ذلك لم يتوان عن الإشادة بأئمة الشيعة، وبأنهم أحق بالخلافة من سواهم.
- إداريًا: تعهد للمصريين بأن يقوم بإصلاح شامل في إدارة البلاد، بالضرب على أيدي العابثين من قطاع الطرق، وضبط السكة بعدم غشها وتزييفها، وعندما دانت له مصر، قطع الخطبة للعباسيين وأبرز اسم المعز كأمير المؤمنين على السكة والبنود والرسوم.^(٣٧)
- مذهبيًا: أنتهج جوهر سياسة تتفق مع ميول الفاطميين المذهبية مع مراعاة طبيعة المجتمع المصري السني، فرأى أن لا يثير السنيين في مساجدهم بشعائر المذهب الإسماعيلي، وقام ببناء مسجد يكون رمز لسيادة الدعوة الفاطمية، فشرع في بناء الجامع الأزهر سنة ٣٥٩هـ/٩٧٠م.
- سياسيًا: أسس جوهر مدينة القاهرة بناءً على توجيهات المعز، تكون مقرا للحكم الفاطمي ومركزًا لنشر الدعوة الإسماعيلية بدل الفسطاط والعسكر لأنهما كانتا مكتظتين بأهل السنة.^(٣٨)
- اقتصاديًا: كانت مصر تمر بأزمة اقتصادية شديدة، ولذلك اعتنى جوهر في بداية عهده بالقضاء على المجاعة وتوفير الطعام للمصريين وتحقيق النظام، ووعد المصريين بالتخفيف من الضائقة المعيشية من خلال إسقاط الرسوم الجائرة، فأبطل في سنة ٣٥٨هـ/٩٦٩م البراطيل (وهي الأموال التي تؤخذ من الولاة والمحاسبين والقضاة على سبيل الرشوة).^(٣٩)

(٥) القضاء وما يتصل به

يقول ابن خلدون: "كان النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد بن حيون في خطة القضاء للمعز بالقيروان ولما جاء إلى مصر أقام بها في خطة القضاء إلى أن توفي وولي ابنه علي، ثم توفي سنة ٣٧٤هـ فولى العزيز أخاه عبد الله محمدًا . . . وكان المعز قد وعده أباه بقضاء ابنه محمد هذا بمصر، وثم في سنة ٣٨٩هـ أيام الحاكم، كبير الصيت، كثير الإحسان شديد الاحتياط في العدالة.

من مختلف الجنسيات الغربية عن البلاد وعلى الخلافة نفسها، وقد يكون ذلك من عوامل سقوط الدولة نتيجة الصراع الداخلي. من مظاهر القوة العسكرية الفاطمية قوة الأسطول البحري الذي يعود إلى المرحلة المغربية من خلال النزاع مع النصارى والأمويين في الأندلس، وظل الفاطميون مهتمين بهذه القوة بعد انتقالهم إلى مصر حيث وجدوا في هذه البلاد تقاليد بحرية قديمة، ولقد كانت أساطيلهم منتشرة بجميع السواحل المصرية وكان عدد جنودها أكثر من خمسة آلاف مقاتل. ويزيد أسطولهم عن خمسة وسبعين قطعة وعشر مسطحات وعشر حمالات...^(٤٣) ولكن أمر هذه البحرية أخذ يضعف حين أستبد الجيش بالوزارة وصارت الأمور كلها بيد أمير الجيوش بدر الجمالي.

(٨) النظام المالي والنشاط الاقتصادي

٨/أ- بيت المال:

كان بيت المال في كل من مصر والشام يقوم بالمسجد الجامع وهو شبه قبة مرتفعة محمولة على أساطين. وليت المال باب حديد وأقفال، والصعود إليه على قنطرة من الخشب، وإذا صليت العشاء الآخرة أخرج الناس كلهم من المسجد، حتى لا يبقى فيه أحد، ثم أغلقت أبوابه وذلك لوجود بيت المال فيه.^(٤٤) نلاحظ أنه حتى القرن الرابع الهجري كان تضمين الأراضي لمستغليها بمصر يجري في المسجد الجامع كل أربع سنوات، فكان ينادي على البلاد صفقات في جامع عمرو أمام متولي خراج مصر وكتابه، وهذه عادة من عادات المصريين قديمًا.^(٤٥)

لقد حافظت مصر عمومًا على المستوى العالي الذي كانت عليه من الخراج والجباية، فقد أستطاع أحمد بن طولون قبل الفاطميين أن يستخرج خمسة آلاف ألف دينار في القرن الثالث الهجري، أما خلال القرن الرابع أيام الفاطميين فقد أشتل على ثلاثة آلاف ألف ومائتين واثنين وسبعين ألفًا من الدنانير، وفي أواخر القرن الرابع بلغ الخراج على يد الوزير ابن كلس أربعة آلاف ألف،^(٤٦) يعود هذا الانخفاض مقارنة بالعهد الطولوني إلى الاضطرابات وكثرة الحروب.

٨/ب- النظام النقدي:

منذ بداية فتح مصر أهتم المعز بالإصلاح النقدي، فأمر بفتح دار الضرب في الفسطاط التي كانت مقفلة منذ العهد الإخشيدي، وضرب السكة الحمراء المصنوعة من الذهب الأحمر الجيد العيار لتعويض السكة القديمة التي فقدت قيمتها منذ عهد بعيد، وقد تسبب هذا الإجراء في ازدياد المتاعب الاقتصادية، فارتفعت الأسعار ارتفاعًا فاحشًا حتى اضطر المحتسب إلى قمع باعة الجبوب والطحانيين.^(٤٧) كان المصريون يتعاملون قبل ذلك بالنقود الذهبية والفضية والنحاسية، وكان الدينار المستخدم هو الدينار الراضي الذي ضربه العباسيون، واستخدمت دنانير من الفضة المذهبة، تُعرف بالدنانير البيضاء، وهي ذات قيمة منخفضة تبلغ قيمة الدينار الواحد منها خمسة عشر درهمًا. وبعد أن ضرب جوهر الصقلي

عن الخطة أكثر من مرة، ثم أبعد عنها منذ شهر محرم ٣٦٣ هـ وتولاها يعقوب بن كلس بالاشتراك مع عسلوج بن الحسن الدهاجي حتى محرم ٣٦٤ هـ، كما ولها في ما بعد حميد بن المفلح في عصر العزيز، وردت في سنة ٣٨٣ هـ / ٩٩٣ - ٩٩٤ م إلى الوبرة النصارى ضمناً وقبالة، وفي ٤١٤ هـ / ١٠٢٣ - ١٠٢٤ م ولها داوود بن يعقوب الكتامي مع الأسواق والسواحل، فنزل إلى مجلس الحسبة في مصر وهو على أبهة عظيمة ودبر الأسعار عوضًا عن سلفه.^(٣٧)

أما خطة الشرطة في القاهرة (الشرطة العليا)، فقد تولاها جبر بن القاسم المسالي،^(٣٨) وتولاها في الفسطاط (الشرطة السفلى) عروبة بن إبراهيم، وأصبح النظر في الشرطتين من اختصاصات عسلوج بن الحسن الدهاجي، وابن كلس^(٣٩) ابتداءً من محرم ٣٦٣ هـ / أكتوبر ٩٧٣ م، وقد عهد إلى جبر بن القاسم في بداية (٣٦٤ هـ / ٩٧٤ - ٩٧٥ م) بالإشراف على الشرطتين، لأنه كلف بأن يعمل على إجلاء المغاربة من مدينة الفسطاط وتجميعهم في مدينة القاهرة،^(٤٠) ويدخل هذا الإجراء في إطار اتخاذ القاهرة كقاعدة للدعوة الإسماعيلية الشيعية والابتعاد عن المراكز السنية مثل الفسطاط والعسكر. وكذلك تجنب التصادم مع المذهب السني ريثما تستقر أوضاع الدولة الجديدة في مصر.

(٧) التنظيم العسكري

اعتمد الفاطميون في تكوين وتنظيم الجيش على المغاربة خاصة الكتاميين، ولم يعتمدوا على المصريين إلا في حدود ضيقة، حيث ظل المصريون كما كانوا منذ الفتح الإسلامي لبلادهم بعيدين عن الجندية والفنون الحربية، ولذلك اعتمدت الدولة على جنود مرتزقة أجنبية على البلاد المصرية مثل المغاربة والأتراك والصقالبة والسودان والأرمن والروم. ففي عهد الخليفة المعز اعتمدت الدولة على المغاربة، وبفضلهم فتحت مصر ولذلك احتكروا مناصب القيادة والإدارة، بينما في عهد الخليفة العزيز أخذ نفوذهم يتراجع أمام تصاعد نفوذ الموالي من الترك والصقالبة مما أثار حقد المغاربة.^(٤١) وفي عهد الخليفة الحاكم حدث التصادم بين القائد يرجوان الصقلي وبين القائد الحسن بن عمار الكتامي المغربي وانتهى الصراع بتغلب يرجوان وحزبه.

ولما أستفحل خطر يرجوان قتله الحاكم واتخذ عنصرًا جديدًا وهو عنصر السودان للحد من نفوذ الطوائف الأخرى.^(٤٢) ونتيجة لذلك تحالف الأتراك والمغاربة لاسترجاع نفوذهم فاندلعت الحروب بين الطرفين انتهت بانتصار الترك والمغاربة، أما الخليفة الظاهر فقد مال إلى العنصر التركي واعتمد عليه في قيادة جيوشه وإدارة شؤون دولته مما فتح الباب على مصراعيه للصراعات والفتن، ولما ولي ابنه المستنصر مال إلى العنصر السوداني لأن أمه كانت أمة سودانية فتجدد الصراع بين الترك والسودان، ولذلك استنجد المستنصر بحاكم دمشق الأرمني بدر الجمالي وجنوده الأرمن. وهكذا شهدت مصر دخول طائفة جديدة ظلت تصارع الطوائف الأخرى حتى سقوط الدولة الفاطمية. ومن هنا نجح الفاطميون في تكوين جيش

قيمة قبالة الأرض^(٥٦) ولذلك اشتهرت مصر بزراعة الكتان وصناعته. كما تطورت الصناعة والصياغة والحياكة والنجادة والزخرفة تطوراً كبيراً كما روى المؤرخ المقرئ الذي جاء البحث في آثار زمانه مصدقاً لروايته، فكانت جدران البيوت تحطى بألواح القشاني المطلي والبلاط الكلسي الرخامي المزين بالزخارف الزاهية والنقوش العربية... وكانت أرض تلك القصور تفرش بالفسيفساء، أو البسط الموشاة وكان أثاثها يصنع من الخشب الثمين المرصع بالصدف أو العاج، وكانت متكأها ذات رياش مزين في لحمته بصور الحيوان، وكانت نمارقها تكسى بالنسائج الأجوانية الرائعة.^(٥٧)

وقد ارتقت الصناعة المعدنية في زمن الفاطميين إلى حد بعيد أيضاً، كما يشهد بذلك ما انتهى إلينا من الأواني، والأكواب، والأباريق، والأطباق، والمصابيح وغيرها من ألوف المصنوعات.^(٥٨) ويمكن تصور ما كان عليه الخلفاء الفاطميون من الثراء عند النظر إلى قائمة الأموال التي روى المؤرخ المقرئ أن الخليفة المستنصر (٤٢٧هـ - ١٠٣٧م) اضطر إلى بيعها إرضاءً لأولئك المرتزقة... وذكر قائمة عجيبة لتلك الكنوز حيث أن أمين بيت المال ابن عبد العزيز ذكر في قائمته أكثر من مائة سلعة ثمينة ومائتي ألف قطعة من السلاح سلمت أمامه.^(٥٩)

وهذا ما يبعثنا إلى التساؤل عن مصدر هذه الثروات الباهظة، كانت ثروة الفاطميين تعتمد على مصدرين مختلفين: الحاصلات الزراعية والأعمال التجارية، والواقع أن مصر كانت مستودعاً للتجارة بين أوروبا والهند وجزيرة العرب، وأن جميع سلع الشرق كانت تمر مضطرة من طريق الإسكندرية إلى الغرب، حيث يروي فريسيكو بالدي فلورونسي أنه كان يرى من السفن في ميناء القاهرة في زمانه - أي في سنة ١٣٨٤م - أكثر مما في جنوه أو البندقية. وأن عدد الزوارق في نهر النيل كان ٣٦٠٠٠.^(٦٠) ودام مصدر الثراء الواسع هذا إلى أن جاوز فاسكو دي غاما في سنة ١٤٩٧م رأس الرجاء الصالح وبلغ شاطئ ملبار، الذي لم يره أوروبي من قبله والذي لم يختلف إليه أحد غير العرب حتى ذلك التاريخ. وكانت الضربة التي نزلت بثروة خلفاء مصر سبب هذا الاكتشاف عظيمة جداً. ولم يستطع الخلفاء أن يمنعوا بأساطيلهم البرتغاليين من الاستقرار بالهند ومن القضاء على تجارة العرب في الشرق الأقصى، أي على المصدر الأصلي لثروة ملوك مصر.^(٦١)

خاتمة

إن انتقال الفاطميين إلى مصر، لم يكن مجرد قيام دولة مكان أخرى أو انتقال الحكم من العباسيين إلى الفاطميين، بل نتج عنه انقلاب جذري ديني، ثقافي، اجتماعي، في المجتمع المصري، صحبه تحول واضح في نظام الحكم، فلأول مرة في التاريخ الإسلامي تحكم مصر من قبل دولة لا تدين حتى بالولاء الاسمي لبغداد، وهكذا فقد تزعم الفاطميون حركة دينية فلسفية اجتماعية، مناهضة تماماً لما كان عليه أهل السنة، ويرون أنهم أحق بحكم العالم الإسلامي بمقتضى الحق الإلهي في الحكم، وعندما اختاروا مصر لتكون مركزاً

الدينار المغربي جعل نقاءه أربعة وعشرين قيراطاً تقريباً وثبت قيمته عند خمسة وعشرين درهماً، ومنع التعامل بالدينار الأبيض الذي لم تعد قيمته عشرة دراهم تبعاً لنظرية العرض والطلب.^(٤٨)

٨/ج- الضرائب والمكوس:

كانت مصر أرض المكوس، ويدل بيان وجود المال في عهد الفاطميين على أن كل شيء كانت تفرض عليه المكوس^(٤٩) ويروي لنا المقديسي الذي زار مصر في أوائل عهد الفاطميين: "أما الضرائب فتقيلة وبخاصة تنيس ودمياط وعلى ساحل النيل، وأما ثياب الشطوية فلا يمكن للقبطي أن يبيع شيء منها إلا بعد أن يختم عليها بختم السلطان ولا تباع إلا على يد سماسرة عقدت عليهم، وصاحب السلطان يثبت ما يباع في جريدته ثم تحمل إلى من يطوئها، ثم إلى من يشدها بالقشر، ثم إلى من يشدها بالسفط وإلى من يخدمها، وكل واحد له رسم يا خده، ويوجد بتنيس على زق الزبيب دينار، ومثل هذا وأشباهه ثم على شط النيل بالفسط ضرائب ثقال. رأيت ساحل تنيس ضرائبها جالساً قيل: قبالة هذا الموضع في كل يوم ألف دينار ومثله عدة على ساحل البحر بالصعيد وساحل الإسكندرية".^(٥٠) وكان فقهاء المسلمين يعتبرون كل ما زاد عن الضرائب الشرعية وهي عشر الأرض والزكاة وجزية أهل الذمة: ضرائب غير قانونية. ولهذا السبب أيضاً نجد الخليفة الحاكم بأمر الله في مصر حين أراد أن يرجع إلى أصول الإسلام الأولى، يسقط جميع الرسوم والمكوس التي جرت العادة بها، وسرعان ما أعيدت في عهد خلفه إلى ما كانت عليه.^(٥١)

٨/د- الرواتب:

كان الإخشيد أول من رتب الرواتب،^(٥٢) وقد أقر الفاطميون نظامه في جملته، فلدينا من أخبار الإدارة الفاطمية أن الوزير كان يتقاضى خمسة آلاف دينار في كل شهر وهو مثل مرتب صاحبه ببغداد، أما رواتب أصحاب الدواوين فكانت أقل بكثير مما هي عليه ببغداد، فكان صاحب ديوان الإنشاء يأخذ مائة وعشرين ديناراً، وصاحب بيت المال مائة دينار، وأصحاب الدواوين الأخرى ما بين سبعين وثلاثين ديناراً في كل شهر.^(٥٣) ويحدثنا الرحالة الفارسي "ناصر خسرو" في القرن الخامس الهجري أن رزق قاضي القضاة بمصر ألف دينار في الشهر،^(٥٤) ويذكر في ملحق أخبار القضاة للكندي أن دخل القاضي عبد الحكم بن سعيد الفارقي في السنة كان يزيد على عشرين ألف دينار،^(٥٥) بينما نجد في بيان المقرئ لنفقات الفاطميين رزق قاضي القضاة كان مائة دينار في الشهر. أما رواتب الجند في كل شهر تتراوح من عشرين ديناراً إلى خمسة عشر ديناراً إلى عشرة إلى ثمانية إلى ديارين... وهكذا أعتمد الفاطميون على النظام الإخشيدي السابق مع إدخال بعض التعديلات.

٨/هـ- الأنشطة الاقتصادية:

لقد كانت الزراعة عماد الاقتصاد المصري، ولذلك اعتنى المعز بتجديد ما تخرب من جسور وقنوات وقناطر، وضاعف ضريبة الأرض من ثلاثة دنانير ونصف إلى سبعة دنانير للقدان الواحد، وزاد

الهوامش:

- (١) مرمول، محمد الصالح، السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٨٣، ص ٢٧٢.
- (٢) آدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، دار الكتاب العربي بيروت، ط٤-١٩٦٧، ص ٢٧٢.
- (٣) طقوش، محمد سهيل، تاريخ الفاطميين في شمالي إفريقيا ومصر وبلاد الشام، ط١، دار النفاس بيروت، ٢٠٠١، ص ١٨٤.
- (٤) المقرئ، تقي الدين أحمد، إغاثة الأمة بكشف الغمة، تحقيق محمد مصطفى زيادة، وجمال الشيال، القاهرة، ١٩٥٧، ص ١٢.
- (٥) ابن خلدون، عبد الرحمن، ديوان العبر... مجلد واحد، تحقيق وتصحيح أبو صهيب الكرمي- بيت الأفكار الدولية، ص ١٥٧.
- (٦) الشهرستاني، الملل والنحل، ج٢، تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل- مؤسسة الحلبي وشركائه- القاهرة، ١٩٦٨، ص ٢٨.
- (٧) مرمول محمد صالح، السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية، مرجع سابق، ص ٢٩.
- (٨) المقرئ، تقي الدين محمد، اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، نشر جمال الشيال، القاهرة، طبع دار التحرير ١٩٩٦، ص ١٤١.
- (٩) ابن حوقل (أبو القاسم محمد): صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، بدون تاريخ، ص ٢٢١.
- (١٠) ابن النديم، الفهرست، تحقيق الشيخ إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٩٩٤، ص ١٨٩.
- (١١) آدم متز، الحضارة الإسلامية، نقل عن: De Sacy: Exposé de la religion du Druses
- (١٢) ابن النديم، الفهرست: ص ١٨٧.
- (١٣) المصدر نفسه، ص ١٨٧-١٨٩.
- (١٤) الشهرستاني، الملل والنحل: ج٢: ص ٢٨ - ٢٩.
- (١٥) المقرئ، الاتعاظ: ج٢- ص ٥٣.
- (١٦) آدم متز، نقل عن: ملحق أخبار الولاة والقضاء الكندي، ص ٥٨٩.
- (١٧) آدم متز، نقل عن: ملحق أخبار الولاة والقضاء الكندي، ص ٤ - ٦.
- (١٨) عماد الدين إدريس القرشي، عيون الأخبار وفتون الآثار في فضائل الأئمة للأصهار، ط٢، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ص ٢٠٢.
- (١٩) المصدر نفسه، ص ٢٠٠.
- (٢٠) المقرئ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، تحقيق خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٨، ج١، ص ٤٣٩.
- (٢١) مصطفى غلاب، تاريخ الدعوة الإسماعيلية، دار الأندلس للطباعة والنشر، ط٣، ١٩٧٩، ص ٢١٦.
- (٢٢) ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، بيت الأفكار الدولية، مجلد واحد: ص ٩٣٥.
- (٢٣) العبادي، أحمد مختار، في التاريخ العباسي والفاطمي، مؤسسة شباب الجامعة، ص ٣٠٥.
- (٢٤) المقدسي (محمد بن أحمد): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، نشر دي خويه، ليدن ١٩٠٦، ص ١٩٧.
- (٢٥) آدم متز، الحضارة الإسلامية، مج١، ص ١٥٠.
- (٢٦) موسى لقبال، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري، (أم) الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ١٩٧٩، ص ٤٩٢.
- (٢٧) محمد سهيل طقوش، تاريخ الفاطميين... ص ١٩٢ - ١٩٣.
- (٢٨) المرجع نفسه، ص ١٩٨.
- (٢٩) المقرئ، الخطط، ج١، ص ١٢٢.

متوسطاً قادراً على تحقيق أهدافهم التوسعية، فإنهم في الواقع عادوا إلى وضع جغرافي سياسي قديم. وإن كانوا قد فشلوا في استقطاب العالم الإسلامي لتمسكهم الشديد بعقيدتهم، فإن القاهرة التي أرادوا أن يحكموها منها العالم الإسلامي لعبت دوراً بارزاً في قيادة هذا العالم أمام التحديات الخارجية، بدءاً بالمد الصليبي ومرواً بالغزو المغولي، وأثبتت بعد نظرهم عندما اختاروا مصر ليحققوا من خلالها أهدافهم.

إن حضارة المسلمين في مصر هي امتداد لحضارتهم في دمشق وبغداد والمغرب، وتفوقت الحضارة الفاطمية في مصر على الحضارة العباسية في بغداد في مجال الفنون خاصة الصناعة والعمارة بينما تفوقت بغداد في ميدان العلوم، فمدارس القاهرة لم تبلغ من الشهرة ما بلغته جامعات بغداد، ولكن من حيث الدخل المالي فإن دخل خلفاء مصر زاد على دخل خلفاء بغداد، إلا أن خلفاء مصر كانوا يقفون معظم ذلك الدخل على أمور الترف وبناء القصور.

إن الخلافة الفاطمية لم تعيش في المغرب أكثر من ٦٥ سنة، بينما عاشت في مصر أكثر من مائتي سنة، أي أن الجزء الأكبر من حياتها عاشته في مصر، ولذلك اقترنت حضارتها أكثر بالبلاد المصرية حتى أن بعض المؤرخين أمثال المقرئ أطلقوا على خلفائهم اسم الخلفاء المصريين، كما أن الدولة الفاطمية حينما كانت بالمغرب، كانت سياستها مغربية بالدرجة الأولى إذ حاولت توحيد المغرب الكبير وضم الأندلس أيضاً إلى نفوذها، ولما فشلت في تحقيق هذا الهدف وانتقلت إلى مصر اتجهت سياستها نحو المشرق نحو الشام واليمن والحجاز والسودان والعراق. بل إلى أقصى المشرق مثل الصين والهند. أما علاقتها بالمغرب، فقد أخذت تضعف تدريجياً إلى أن زالت نهائياً في منتصف القرن الخامس الهجري في عهد الخليفة المستنصر بالله.

- (٣٠) ابن خلدون، العبروديان المبتدأ والخير... ص ٩٣٥.
- (٣١) المقرئ، الخطط، ج ٢، ص ٢٠٧.
- (٣٢) آدم متر، الحضارة الإسلامية، ج ١، ص ٤٢٧.
- (٣٣) المقرئ، الخطط، ج ١، ص ٤٠٣.
- (٣٤) القلقشندي (أحمد بن علي)، صبح الأعشى في صناعة الانشا، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ج ٣، ط ١، ١٩٨٧.
- ص ٤٨٦.
- (٣٥) آدم متر، نقلاً عن: المنتظم، ص ١٠٥.
- (٣٦) المقرئ، اتعاط الحنفاء، ج ١، ص ١٣٤.
- (٣٧) المصدر نفسه، ص ١٤٤.
- (٣٨) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٥٠.
- (٣٩) المصدر نفسه، ص ١٤٤.
- (٤٠) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٥٠.
- (٤١) المقرئ، الخطط، ج ٢، ص ٢٨٤ - ٢٨٥.
- (٤٢) المصدر نفسه، ج ٣، ص ١٧ - ١٨.
- (٤٣) العبادي، في التاريخ العباسي والفاطمي، ص ٢٧٢ - ٢٧٣. وعن الأسطول وقوته وأسلحته وأنواع السفن، راجع: عبد المنعم ماجد، نظم الفاطميين ورسومهم في مصر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ج ١، ١٩٨٥.
- ص ٢١٨ - ٢٢٩.
- (٤٤) آدم متر، الحضارة الإسلامية، ص ٢٣٩. نقلاً عن: كتاب الأعلام النفسية لابن رسته، ص ١١٦.
- (٤٥) المقرئ، الخطط، ج ١، ص ٨٢.
- (٤٦) آدم متر، نقلاً عن: تاريخ ابن صالح الأرمي، ص ١٢٣.
- (٤٧) المقرئ، إغاثة الأمة بكشف الغمة، ص ١١٥ - ١١٦.
- (٤٨) محمد سهيل طقوش، تاريخ الفاطميين، ص ١٩٩.
- (٤٩) المقرئ، الخطط، ج ١، ص ١٠٣.
- (٥٠) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ٢١٣.
- (٥١) آدم متر، الحضارة الإسلامية، ص ٢٣٣.
- (٥٢) المقرئ، الخطط، ج ١، ص ٩٩.
- (٥٣) آدم متر، الحضارة الإسلامية، ج ١، ص ١٥٩.
- (٥٤) خسرو ناصر، سفرنامه، ترجمة يحي الخشاب، ط ٢، دار الكتاب الجديد ١٩٧٠. ص ٢١٣.
- (٥٥) المقرئ، الخطط، ج ١، ص ٤٠١.
- (٥٦) محمد سهيل طقوش، تاريخ الفاطميين، ص ١٩٩.
- (٥٧) غوستاف لوجون، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتير، مطبعة عيسى البابي الحلبي ١٩٦٩. ص ٢٢١.
- (٥٨) المرجع نفسه، ص ١٢٢.
- (٥٩) المرجع نفسه، ص ١٢٤.
- (٦٠) المرجع نفسه، ص ١٢٥.
- (٦١) المرجع نفسه، ص ١٢٥.